لو ساعفتني الأيام لم ترني مرتهنا ميله الذي رهنا
ولا تصدّيت أبتغي بدلاً من إبرة غالها ولا ثمنا
لكنّ قوس الخطوب ترشقني مصميات من هاهنا وهنا
وخبر حالي كخبر حالته ضرًّا وبؤسا وغربة وضنا
قد عدّل الدهر بيننا فأنا نظيره في الشقاء وهو أنا
لا هو يستطيع فكّ مروده لمّا غدا في يديّ مرتهنا
ولا مجالي لضيق ذات يدي فيه اتّساع للعفو حين جنا
فهذه قصّتي وقصّته فانظر إلينا وبيننا ولنا

فلمّا وعى القاضي قصصهما وتبيّن خصاصتهما وخصاصهما أخرج لهما دينارا من تحت مصلّاه وقال اقطعا به الخصام وافصلاه فتلقّفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجدّ لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرّتي وسهمك لي عن أرش إبرتي ولست عن الحقّ أميل فقم وخذ الميل فعرا الحدث لما حدث اكتئاب وجم

له قلب القاضي وهيّج أسفه على الدينار الماضي إلا أنه جبر بال الفتى وبلباله بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرآ المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو ضجره منذ بضّ حجره ولا ينصل كمده منذ رشح جلمده حتى إذا أفاق من غشيته أقبل على غاشيته وقال قد أشرب حسّي ونبّأني حدسي أنهما صاحبا دهاء لا خصما ادّعاء فكيف السبيل إلى سبرهما واستنباط سرّهما فقال له نحرير زمرته وشرارة جمرته إنه لن يتمّ استخراج خبئهما إلا بهما فقفّاهما عونا يرجعهما إليه فلمّا مثلا بين يديه قال لهما اصدقاني سنّ بكركما ولكما الأمان من تبعة مكركما فأحجم الحدث واستقال وأقدم الشيخ وقال ٥

أنا السروجي وهذا ولدي   والشبل في المخبر مثل الأسد
وما تعدّت يده ولا يدي   في إبرة يوما ولا في مرود